

## نخيل نيوز

العراق في خطر وجودي.. تقرير: التغير المناخي قد يزيل 90% من المواقع الأثرية جنوب البلاد



نخيل نيوز - متابعة

يتعرّض العراق اليوم لخطرٍ وجودي يهدّد ذاكرته الحضارية بسبب تغيّر المناخ، فالجفاف وتراجع دجلة والفرات والعواصف الرملية والملوحة العالية تُدمّر مواقع أثرية مثل "أور" و"بابل"، فالتصدّرُ يزحف على مهد الحضارات، ويهدّد طمر معالم عمرها آلاف السنين، في غياب خطط وطنية لإنقاذ التاريخ.

وأكد تقرير لوكالة "رويترز"، أن "العراق يواجه اليوم مأزقاً وجودياً يهدّد ذاكرته الثقافية والتراثية"، مشيراً إلى أن "بلاد ما بين النهرين، التي أنجبت الكتابة والزراعة والمدن الأولى، تقف على مشارف اندثارٍ جديد لا تُطلقه الحروب هذه المرة، بل تغيّرات المناخ القاسية التي تنحت ملامحها على الآثار والمعالم" و"بين التصدّعات التي أصابت الأرض، وتراجع منسوب الأنهار، والزحف المتزايد للرمال، تتبدّد شواهد التاريخ واحدة تلو الأخرى، كأنّها تستسلم لصمت الطبيعة بعدما نجت قرونًا من صخب الحروب والفتن البشرية والإهمال الإداري".

وذكر تحقيق نشرته الوكالة، أن "الأراضي العراقية في السنوات الأخيرة، خصوصاً في المناطق الجنوبية، تحولت إلى مساحات جافة يأكلها التصدّر وارتفعت فيها نسب الملوحة بشكل غير مسبوق. كما تراجع منسوب نهري دجلة والفرات، وازدادت العواصف الرملية التي تُخفي تحتها طبقات من التاريخ الممتدّ لآلاف السنين. ومع كلّ عاصفة جديدة، تُدفن أجزاء من الذاكرة المادية لبلاد (مهد الحضارات)".

ودقّ مسؤولون عراقيون ناقوس الخطر لإنقاذ مواقع تُعتبر من أقدم مدن العالم، بعدما بدأت رياح التغيّر المناخي تفتك بمكوناتها المعمارية. ففي مدينة أور، مهد النبي إبراهيم، بدأت الكثبان الرملية بأكل حول الجهة الشمالية من الزقورة الشهيرة (معبد هرمي ضخم شيّد قبل أكثر من أربعة آلاف عام للإله القمري نانا).

الأمر لا يقتصر على مدينة أور وحدها. بحسب التقرير فإن مدينة بابل، العاصمة الأسطورية للإمبراطوريات القديمة، أيضاً تواجه المصير نفسه. في هذا الإطار، أكد مدير عام دائرة الآثار في وزارة الثقافة والسياحة العراقية، منتصر الحسنوي، أن "المواقع الأثرية في بابل القديمة معرضة للخطر، في ظلّ تحديات صعبة جرّاء نقص التمويل"، منوهاً بأن "مستويات الملوحة المرتفعة تُضعف المواد الطينية التي بُنيت منها المعابد والقصور القديمة".

ولفت الحسنوي إلى أن أعمال الترميم التي أُجريت في العقود الماضية "كانت في أحيان كثيرة غير ملائمة"، ما جعل البنى القديمة "أكثر هشاشة" أمام التغيّر المناخي.

وبحسب التقرير إن "ما يواجهه العراق اليوم ليس مجرد حدث مناخي أو أزمة بيئية عابرة، بل تحوّل بيئي شامل يهدّد

## نخيل نيوز

الوجود المادي لذاكرة الإنسانية. فبلاد الرافدين، التي كانت ذات يوم مهد الزراعة والأنهار، أصبحت اليوم واحدة من أكثر خمس دول تضرراً في العالم من آثار تغيّر المناخ، وفق تقارير الأمم المتحدة".

كشفت دراسات ميدانية سابقة أنّ العواصف الرملية التي تجتاح العراق ازدادت وتيرتها خلال العقد الأخير بشكل لافت، إذ شهد عام 2022 وحده أكثر من عشر عواصف كبيرة غطّت مناطق الجنوب بطبقات كثيفة من الغبار. وعلى سبيل المثال، في موقع «أم العقارب» السومري، وفق روبرت، ويروي عالم الآثار عقيل المنصراوي أنّ الرمال "بدأت تزحف منذ عشر سنوات لتغطي أجزاء واسعة من الموقع"، محذراً من أنّ «80 إلى 90 في المئة من المواقع الأثرية في الجنوب قد تختفي تحت الرمال خلال العقد المقبل».

من جانب آخر، يبرز العراق تحت وطأة مزيج من الأزمات المعقّدة. وإلى جانب المناخ، أدّت عقود من الحروب والعقوبات إلى تدمير أجزاء كبيرة من تراثه الثقافي، بينما تعاني الإدارات المحلية من نقص في التمويل والكوادر المتخصصة لصيانة المواقع الأثرية. كما إنّ مشاريع التشجير أو "الأحزمة الخضراء" التي طُرحت للحدّ من التصدّر لا تزال محدودة الجدوى في ظلّ ندرة المياه.

العراق الذي قدّم للعالم أول شريعة مدوّنة في التاريخ عبر قانون حمورابي بين عامي 1750 و1755 قبل الميلاد، وأوّل مدن تحمل هياكل اجتماعية واقتصادية وسياسية معقّدة مثل أوروك وأور، وأوّل أسلوب في التنظيم الاجتماعي من خلال أنظمة الحكم والقوانين، يجد نفسه اليوم في مواجهة حرب جديدة، لكنّ هذه المرّة في وجه غضب الطبيعة. فالتغيّر المناخي لا يحمل تداعيات على الزراعة والمياه والحياة اليومية فحسب، بل يُهدّد أساس الهوية التاريخية للبلاد.

وحذر التقرير من أنّه "في ظلّ استمرار الجفاف والزحف الرملي، قد تستيقظ الأجيال المقبلة لتجد أنّ صروح حضارة عمرها سبعة آلاف عام قد ابتلعها الغبار. ومع كلّ طبقة رمل جديدة تتكوّن فوقها، تُدفن صفحة أخرى من تاريخ الإنسانية، وكأنّ الأرض ذاتها قرّرت معاقبة الإنسان على ما يقترفه بحقّها عبر محو إرثه الثقافي".